

الإمام المعتقل

أحمد بن حنبل

نبيل خالد

كتاب الجيب الإسلامي رقم (٨)

الإمام المعتقل

أحمد بن حنبل

بقلم
نبيل خالد

دار ابن لقمان للنشر والتوزيع

● سلسلة: كتاب الجيب الإسلامي
●● تأليف: **نبيل خالد**
●● تليفون: ٠١٢٣٧٤٠٥٦٧ - ٠٥٣٩. ١٢/٤٨٤٠
●● رقم الإيداع: ١٩٣٥/ ١٩٩٠
الطبعة الثانية
١٤٢٢هـ / ٢٠٠٢م
(طبعة مزيدة ومنقحة)
●● تصميم الغلاف م/ **علاء فتحي عجوة**
دار الجزيرة للطباعة
المنصورة - نوسا البحر ☎: ٠٥٠/٤٣١١٩١
●● الإخراج الفني: **صلاح بدير شبكة**
●● جمع كمبيوتر: **إيمان سامي المغربي**
●● المراجعة: الشاعر/ **السيد الخياري**
●● مونتاج: **دعاء حسن عقيل**

بسم الله الرحمن الرحيم

دراسة بقلم / صفوت سليمان

نبيل خالد « والإمام المعتقل» بين التراث والحداثة

فى ظل توافد الثقافات الغربيه على مجتمعنا.. معلنة أنها البيدق الذى سيدق حصون لغتنا متلفحة بثوب السحر الأوربى والخيال الوضاء. ينخدع بعض كُتابنا ببريق هذه الثقافات والتى لا تحمل ملامح الشخصية العربية بين طياتها.. بل تحمل مسخاً لرؤية لا تنتمى إلى هذه الأرض.. إلى هذه الجبال.. إلى هذه الصحراء.. إلى هذا النيل.. بل تنتمى إلى شيء واحد فقط وهو استهداف غربى لمحو ذاكرتنا العربية من سجلات التاريخ والإبقاء على مسخ لا ينتمى إلينا.. ولا ننتمى إليه.. والغريب أن بعض كُتابنا ينخدعون ويسيرون مسلوبى الارادة.. خلف هذا البريق.. وبمرور الوقت يتحولون إلى أبواق غربية.. متشددة ولذا فإن الانتماءات الأصوليه لأدبائنا لابد وأن تكون إلى التراث.. كى تستطيع أقلامهم أن تجد الثوابت الجيدة لمواجهة هذه التوافدات الغربية على ثقافتنا العربية.

ولهذا فقد أراد كاتبنا المبدع «**نبيل خالد**» من خلال كتابه «**الامام المعتقل.. أحمد بن حنبل**» أن يغوص بنا فى عالم التراث

الأدبى ويفتح باباً قلما يفتحه الأدباء . . لسبب واحد إلا وهو خطورة هذه التناولات التراثية .

ولكن ولبراعة كاتبتنا وتمكنه من عرض مادته التراثية بشكل يعتمد فى المقام الأول على استخدام الدراما اللفظية فى حركة الجمله لتكوين الصورة السلسة التى تدخل إلى القارئ بشكل طبيعى يألف تكوينها الإبداعى داخل عقله مما يساعد بتلقائية كبيرة وبتكنيكٍ فنى محكم أن يدخل فى نطاق شائك محاولاً أن يثرى ويثير العقل البشرى بسحره وخياله .

ـ وكان اللقاء مع أحد مؤلفاته التى يبحر بنا من خلاله إلى عالم التراث باستعراض شيق لسيرة ذاتية لأحد علمائنا البارزين فى مجال علوم الدين والقضاء الشرعى آلا وهو « **الإمام أحمد بن حنبل** » .

كيف وأنه فى رحاب مُلك الخليفة المأمون . . طاغية الملك . . والذى أعلن على الملأ أن القرآن هو مخلوق من المخلوقات . . وليس كلام الله . . وأن من يعترض على هذا الرأى فهو مشرك يحل دمه .

ـ وآه يا شيخنا الإمام حينما تصبح شفتيك سجناً يعصف بكلماتك . . فى زمن اليأس المطلق . وآه . . حينما تصبح أسنانك

قضبانا لكتم أغنيتك - تقتلها - تحملها عفنا.. فى ظلمة سجن الكلمات - لا - أرفض هذا الموت الساكن فى قلوب الكثيرين - فأنا الشيخ الإمام - ونشط الجنود فى جمع القضاة لمعرفة المطيع منهم والخائن المارق وكان الرد خوفاً يطيح برؤوسهم وسجناً يكتم أنفاسهم - تصوير درامى متقن للحظة الصمت القاتلة التى ترتسم بوعى على وجوه بعض العلماء بالخوف من خلال إبداعات كاتبنا الحركية داخل نطاق الكتاب.

وجاءت كلمة الشيخ مدوية حينما عرف أن المحنة قادمة.. وأنها ستكون شديدة ومؤلمة - لا.. فالقرآن كلام الله - جاءت قاتلة لإرادة الخليفة المأمون - ضد رغبته - ضد أوامره الملكية - قالها وهو الشيخ الفقير - الزاهد - الواصل إلى الله بإيمانه ونقاءه والغنى بما أورثه رسولنا الكريم إياه - ثلاث شعرات - هى تراثه - وثراءه وفخره فى الدنيا - وهنا تجلت براعة الكاتب فى تصوير إيباء النفس - وعفافها - وفخره بكونه فقيراً - ضعيفاً - يركن ظهره إلى الله تعالى - مطمئناً إلى انتمائه إلى الله - جزءاً من ملكوته الواسع - قالها مدوية عالية .. لا - ولا يهم أن يكون السيف هو الحد الفاصل بين الموت على كلمة حق أو الحياة فى رغد بذلة وإنكسار.

ولهذا فقد كان يقبل أقل الأعمال شأنا.. حتى أنه وهو الشيخ الإمام.. عمل حمالاً على الطريق.. المهم.. هو أن تكون لى الحرية الكاملة فى إبداء الرأى.. وبقوة.. والمهم هو ألاَّ أنتمى إلى عالم الضعف والاستكانة..

وهنا استطاع كاتبنا أن يضىء لنا شمعة كى نرى جانبًا من حياة الإمام لم نكن نعرفه من قبل ألا وهو أن الإمام الشيخ لم يكن متزمتًا كما يقال عنه ولكن من جاء بعده هم من تشددوا وانفصلوا عن المجتمع ولذا فقد أسمو أنفسهم بالحنابلة نسبة إليه وهو منهم براء..

هذا العالم الجليل اعتمد فى حياته كما يقول كاتبنا « نبيل خالد» على تأسيس عالم الحرية المطلقة فى إبداء الرأى دون خوف أو ترويع أو مصادرة؛ ولهذا فقد حاول كاتبنا من خلال تحليل منطقى لشخصية الشيخ الإمام أن يبلور فكرة عدم التوازن الفعلى بين التعادلات الموضوعية، بين ما هو كائن فى شخصية الخليفة المأمون ـ رمزاً للسلطة وشخصية الإمام العادل ـ هذا التضاد بين اللامنطقية والمنطقية.. بين الملمس الروحى للإنسان والملمس الجدى من خلال الحذف الذى يجتاح النفس البشرية.

هذه التضادات الفكرية حينما تجتمع فى عالم يصنعه الخليفة

المأمون ـ بسوط الخوف لم يمنعوا الشيخ الإمام من استخدام حقه الفعلى فى الحياه. ألا وهو حرية الرأى والتفاعل بشخصيته داخل نطاق المجتمع والذى هو عضو مؤسس فيه فهو رجل الدين والعالم والقاضى ـ والرمز.

ومن هنا فنحن أمام عمل أدبى يستحق أن يُقرأ لما يعرض من خلال كتابه « **الإمام المعتقل أحمد بن حنبل** » بشكل يعتمد على الدرامية الحوارية داخل نطاق الدراسة التراثية لسيرة الشيخ الإمام. وما تعرضت له: سجون الخليفة المأمون والذى يعرض أهم المناظرات التاريخية على الإطلاق والتى تمت بين الشيخ الإمام وبين ابن أبى دؤاد الذى استطاع أن يلقنه الشيخ الجليل درساً فى القضاء والشريعة الإسلامية.

فتحية إلى هذا الكتاب وتحية إلى الكاتب **نبيل خالد** والذى أركبنا مركبة نجميَّةوضاءة وأبحر بنا فى ثراء.

*****

شكر وامتنان

أتقدم بالشكر لكل من قدم لى العون لإخراج هذا الكتاب وأخص بالذكر:

الكاتب الكبير

د. صلاح عزام

عضو المجلس الأعلى للشئون الإسلامية

ومدير تحرير جريدة الجمهورية

الكاتب الكبير

فخرى فايد

عضو مجلس إدارة

إتحاد كتاب مصر

*****

الإهداء

إلى الأديب الكبير **محمد جبريل**

رئيس القسم الثقافى والأدبى بجريدة المساء

ولكل كاتب عدة قضايا ويكتب عنها

لكننى وجدت قلمك تحول

إلى سيف تدافع به عن قضية واحدة فقط هى:

(إنسانية الإنسان)

لذا تحتم علىّ أن أهدى لك هذه القصة الإنسانية

نبيل خالد

*****



جذور الخلافات

ماذا تفعل؟.. لو ضللت الطريق مع عشيرتك، فى الصحراء القاحلة، وأوشكتم على الهلاك عطشا، وفجأة ظهرت لكم بئر ماء عذب؟؟

المنطق يقول: أنكم ستشربون لتنجوا من الهلاك. ولن يصدق أحد أنه من الممكن أن تتركوا الماء، وتتناقشوا وتختلفوا حول كيفية حفر هذه البئر..

بل وأكثر من ذلك..وهو أنكم تتركون الماء، تتركون الماء وتنقسمون إلى فريقين.. وتشهرون

السيوف، وتبدأ المعارك، حول البئر.. دون أن تشربوا منها!!.. لا تندهش، فهذا هو ما حدث...

فعندما كان العرب قبائل متفرقة، وضعيفة.. كانوا مشتتين فى الأرض.. نزل القرآن ليهديهم من ضلالهم.. فتمسك به المسلمون الأولون، فامتدت رقعة الإسلام، وكثرت الفتوحات، فى الشرق والغرب.

وقد تميزت العصور الأولى، فى الإسلام، بالعدل والنهل من الإيمان، بما يقوى المسلمين. إلى أن دخل **العنصر الفارسى**، مع الحكم العباسى، فحمل أفكارا، فى ظاهرها

الإسلام، وباطنها محاربته والعمل على تقويضه من الداخل، وذلك لما تحويه من عناصر تبعد المسلمين عن الهدف الأسمى للاسلام.. وهذا يرجع إلى حقد البعض على الإسلام، الإسلام الذى دك حصونهم وقضى على مصالحهم، ورفع راية العدل، والانصاف بدلا من الظلم.. وانهم لما يئسوا من النصر، بدأوا فى دس المكائد، ليفرقوا بين المسلمين، ويجعلوهم، يتركون «بئر الماء العذب» فلا يشربون منها.. بل، يتناحرون عليها، فتضعف شوكتهم، وتهتز دولتهم، وينهار بنيانهم..

وليس هذا، فى العهد القديم، فحسب.. ولكن ما حدث بالأمس، هو هو، ما زال

يحدث حتى اليوم، حتى بات عداء المسلمين لبعضهم البعض، أكثر عمقا من عدائهم، لأعداء دينهم..

وإذا أردنا أن نعرف، جذور خلافات المسلمين، اليوم، فإننا سنرجع للأمس، لنعرف ما جرى للأمام الجليل، والعالم الفاضل، والمجاهد المناضل، وعظيم القرن الثالث، **أحمد بن حنبل..**

كان علينا أن نرجع إلى أحداث الأمس [1].

*****

---

(١) يريد ما قد كان فى زمن الخلافات ابتداء.. المراجع

الحكم بإعدام الإمام

لما كانت سنة ٢١٨ هجرية، أعلن الخليفة المأمـــون، أن القرآن هـــو «مخـلـوق» من المخلوقات[1]، وليس كلام الله؟.. وأن من يعترض على هذا الرأى، فهو مشرك يحل دمه.. وزاد على ذلك بأن فضلّ «عليّا» على أبى بكر، وعمر.. وأرسل خطابا لرئيس الشرطة ببغداد، يأمره بامتحان العلماء، وأن يقرأ عليهم رأى الخليفة بخلق القرآن..

وما إن وصل خطاب الخليفة المأمون، حتى هرع رئيس الشرطة، لينفذ أمر الخليفة، وليثبت ولاءه له، وأن الأمن مستتب، والأحوال تسير

(١) أى من ابتداعات البشر.. وقد ألفه محمد ﷺ كما يهرف بذلك بعض سفهاء الأجانب.. المحقق

على ما يرام.. وأن الرعيّة، يكادون يسجدون للخليفة من فرط حبهم له، وثنائهم عليه..

ونشط الجنود فى جمع القضاة، لامتحانهم، بناء على أمر رئيسهم الذى راح يبعث للخليفة تقريرا، بالمطيع منهم، والخائن المارق؟ ووقف رئيس الشرطة، فى خيلائه وزهوه ـ وقد أخذ شهيقا عميقا، والجنود تحيط بالموجودين، فى الإجتماع العجيب.. وصمت رئيس الشرطة لفترة.. وحتى تنتشر الرهبة بأرجاء المكان..

وبعد فترة، ران فيها الصمت على الجميع، نطق، فكان مما قال:

ـ ما رأيكم فى الخليفة المأمون؟

رد الجميع:

ـ إمام، فاضل، مادام يقيم الصلاة، فى أوقاتها

ـ ومن يتمرد على الخليفة، ما جزاؤه؟

رد الجميع، فى صدق وعجب:

ـ يقتل.. فنحن فى غنى عن الفتن، ونريد لبلادنا القوة، والمنعة..

نشر رئيس الشرطة، خطاب الخليفة، وتلا عليهم قوله:

ـ هذا كتاب من أمير المؤمنين، وفيه رأيه، من صَدّق عليه سلم، ومن اعترض، فهو خائن يحل دمه..؟؟

وصمت الجميع، انتظارا لما سيقوله اسحاق بن ابراهيم، رئيس شرطة بغداد.. وبعد أن

اعتدل رئيس الشرطة، قال:

ـ « أما بعد: فإن حق الله على أئمة المسلمين، وخلفائهم الاجتهاد فى إقامة دين الله الذى استحفظهم، ومواريث النبوة التى أورثهم، وأثر العلم الذى استودعهم، والعمل بالحق فى رعيتهم، والتشمير لطاعة الله فيهم، والله يسأل أمير المؤمنين أن يوفقه لعزيمته الرشد وصريمته، والاقساط فيما ولاه الله من رعيته، برحمه ومنته..

وقد علم أمير المؤمنين أن الجمهور الأعظم، والسواد الأكبر من حشو الرعية، وسفلة العامة، ممن لا نظر له ولا رؤية ولا استدلال له بدلآلة الله وهدايته، ولا استضاء بنور العلم

وبرهانه، فى جميع الأقطار والأفاق.. أهل جهالة بالله وعمى عنه، وضلالة عن حقيقة دينه وتوحيده، والإيمان به، وقصور أن يقدرواالله حق قدره، ويفرقوا بينه وبين خلقه، لضعف آرائهم، ونقص عقولهم.

وذلك أنهم ساووا بين الله تبارك وتعالى، وبين ما أنزل من القرآن، فتركوا الحق إلى باطلهم، واتخذوا من دون الله وليجة إلى ضلالتهم..

فرأى أمير المؤمنين أن أولئك شر الأمة، ورؤس الضلالة المنقوصين فى التوحيد حظا، وأدعية[1] الجهالة وأعلام الكذب، ولسان ابليس الناطق فى أولئك، وأحق من يتهم فى صدقه،

وتطرح شهادته، ولا يوثق بقوله ولا عمله..

فاجمع من بحضرتك من القضاة، وامتحنهم فى خلق الله القرآن[٢]، وأعلمهم أن أمير المؤمنين غير مستعين فى عمله ولا واثق فيما قلده الله واستحفظه من أمور رعيته بحق من لا يثق بدينه.

فإذا أقروا بذلك من وافقوا أمير المؤمنين، وكانوا على سبيل الهدى والنجاة، فليكتب وليشهد بذلك من يحضرهم من شهود، ومن يمتنع عن التوقيع، فاكتب لأمير المؤمنين، وأشرف عليهم، وتفقد آثارهم حتى لا تنفذ

(١) يريد أدعياء الجهالة ودعاتها.. المحقق.

(٢) يرى المؤرخون فى صدد فكرة خلق القرآن سلسلة يتصل سندها إلى لبيد بن أعصم اليهودى القائل بخلق التوراة.. المحقق.

أحكام الله إلا بشهادة أهل البصائر فى الدين، والإخلاص للتوحيد» . .

وما إن انتهى رئيس الشرطة من قراءة رسالة الخليفة المأمون، حتى اصفرت الوجوه، وزاغت الأبصار، ورأى الحاضرون السيوف لامعة، وتذكروا النعيم الذى يعيشون فيه مع أولادهم، وتذكروا أنهم إن هم خالفوا الخليفة، فسيعزلهم عن وظائفهم، ويتتبعهم رئيس الشرطة بجبروته وقوته . .

والتفت رئيس الشرطة، إلى الموجودين، وقال لأحد الحاضرين:

ـ ما رأيك، يامحمد بن سعد؟

فارتجفت يداه، وقال فى ذلة:

ـ ماذا تريد؟

ـ القرآن مخلوق، أم كلام الله؟؟

ـ وماذا تريد أن أقول؟

ـ يقول أمير المؤمنين، إن القرآن مخلوق من مخلوقات الله، ومن يقل إن القرآن كلام الله، فهو يساوى بينهما، فهو مشرك.. فما قولك؟

استجمع شتات نفسه، وقال:

ـ القرآن مخلوق

(وجلس حزينا)

فضحك رئيس الشرطة فى نفسه، وقال:

ـ وأنت يامسلم مستملى يزيد بن هارون، ما قولك؟

وقف ونظر من حوله، وقال:

- أوافق على رأى أمير المؤمنين

- قلها صراحة

- القرآن مخلوق

فقال، فى خيلاء:

- عظيم، بارك الله فيكم؟؟

ثم نظر للموجودين، وقال:

- ما قولك، يايحيى بن معين، ويا زهير بن حرب، واسماعيل بن داود، واسماعيل بن أبى مسعود، وأحمد بن إبراهيم؟؟؟

فأقروا جميعا، بأنهم موافقون، على كلام أمير المؤمنين، وأن القرآن مخلوق؟؟

قال رئيس الشرطة:

ـ لنكتب ما قلتم. هل يعترض أحد ؟؟

رد الجميع بإنكسار:

ـ لا

اذن، فليحضر الفقهاء، والمشايخ من أهل الحديث، ليشهدوا على قولكم وإيمانكم.

انه، الخوف من سيف المأمون، أو السجن حتى الموت. هرع رئيس الشرطة، وكتب فرحا إلى المأمون، يثنى عليه ويبشره بطاعة الناس له.

وما إن رأى المأمون أن وعيده قد أفاد، فأراد أن يستدعى من هم أنبه ذكرا، وأعلى قدرا..

فكتب لرئيس الشرطة ببغداد، خطابا كخطابه الأول.. وهرع رئيس الشرطة، فجمع جمعا، بينهم الإمام «أحمد بن حنبل» رضى الله عنه، الذى جلس ـ وسط الجمع ـ يسبح الله، ويسأله أن ينصر دينه، ويعلى كلمة الحق..

وكان قلبه عامرا بالإيمان يحدثه أنها المحنة وأن المحنة ستطول، والأهوال فيها كثيرة، ولكنه الإمام الذى عاش حياته مسالما فقيرا، عفيفا وزاهدا.. نذر حياته لتعليم المسلمين أمور دينهم، وكان يسير حتى تتشقق قدماه ليسمع حديثا، ويصحح رواية، أو يفوز بخبر عن رسول الله ﷺ، حتى انه أجاب عن ستين ألف مسألة بقال الله تعالى، وقال رسول الله ﷺ.

إنه الإمام الحريص أن يكون قدوة ومثلا لغيره، حتى إنه ظل محتفظا «بشعيرات» لرسول الله ﷺ، طوال حياته، حبا له، وأوصى وصية تنفذ بعد مماته، بأن توضع ثلاث شعرات للنبى ﷺ: واحدة على لسانه، والاثنتان، كل واحدة منهما على عين من عينيه؟؟

ولعلك فهمت المغزى الذى قصده امامنا الجليل من هذه الوصية، لقد كتب رسالة حب لرب العزة، ولرسوله الأمين.

كتب يقول:

لم أنطق إلا بسنتك، يارسول الله (ﷺ)

ولم أر سوى ما أمرت أنت به عن وحى.

رب العزة..

وهذه القصة، تدلنا على اخلاصه وورعه وتقواه، فإنه لما عزم الخروج إلى مكة لتأدية فريضة الحج، رافق يحيى بن معين، فقال له يحيى:

نمضي إن شاء الله، فنقضي حجنا، ثم نمضي إلى عبد الرازق بصنعاء نسمع منه.

فدخلا مكة، وأثناء الطواف رأيا عبد الرازق، فسلما عليه، بعد الطواف، وقال يحيى، لعبد الرازق:

ـ نجيئ إليك غدا، إن شاء الله حتى نسمع ونكتب..

وقام عبد الرازق وأنصرف.. فقال أحمد

ليحيى:

ـ لم أخذت على الشيخ موعدا؟

قال:ـ لنسمع منه. قد أربحك الله مسيرة شهر، ورجوع شهر، والنفقة

فقال أحمد:ـ ما كان الله يرانى وقد نويت نية لى أن أمدها بما تقول، نمضى إليه فنسمع منه.

ثم مضى إلى صنعاء فسمع منه. وهكذا، نرى الإمام وقد أنفق من وقته أكثر من شهرين، ومن ماله قدر ذلك، ،لتسليم حجته، من أن يقصد فيها إلى غير من لبّاها. . .

وقد تسأل. ماذا كان حال الإمام أحمد؟ فكيف كان يكتسب ماله لينفق على نفسه

وأسرته؟ . . وقد يتبادر إلى الذهن أنه كان يقبل العطاءات . . ويقضى حياته ضيفا على الناس.
ولكنك ستعجب كل العجب إذا ما عرفت أنه «رفض» المنصب الرفيع، فقد أعرض إعراضا شديدا، عن تولى القضاء، مع مسيس الحاجة.

فقد روى البيهقى، من طريق السنى، عن الشافعى، أنه قال للرشيد: إن اليمن يحتاج إلى قاض؟ . . فقال له: اختر رجلا نوله إياها.

فقال الشافعى لأحمد بن حنبل، وهو يتردد إليه، فى جملة من يأخذ عنه: ألا تقبل قضاء اليمن؟؟ فامتنع من ذلك امتناعا شديدا، وقال للشافعى: إنى إنما أختلف إليك، لأجل العلم المُزَهِّد فى الدنيا فتأمرنى أن آتى القضاء؟ . .

وهكذا يرفض الإمام الجليل منصبا كان لا ريب سيغنيه، طول حياته، ويعيش بواسطته، عيشة كريمة هانئة، بل أكثر من ذلك، وقد تتساءل، من أين كان يأكل الإمام؟

وهل كان يرفض العمل، من أجل العلم؟

والاجابة، بالطبع، لا . . بل، على العكس، كان الإمام رضى الله عنه وأرضاه، يقبل أقل الأعمال شأنا، من أجل لقمة العيش الحلال . . فكان يؤجر نفسه ليحمل فى الطريق، ويعين الحمالين، وهذا سر عظمة الإمام، الذى ينزل إلى معترك الأعمال، ومادام حلالا . . وهو يرى ذلك أعلى وأجل، من أن يمد يديه بالحاجة لغيره . . فليس فى العمل حطة . . وإنما

فيه الغنى، والترفع عن الدنية، وهذا يجعله أعز الناس فى الدنيا، فلا يخضع لأقوى قوة، بالحاجة إليها، وهذه هى الحرية التى لا تدانيها حرية، وهى الكرامة التى لا تدانيها كرامة..

فقد كان يرفض القرض عند الحاجة، اذا كان عنده ما يرهنه.. وقد رهن نعله عند خباز، على طعام أخذه منه، عند خروجه لليمن، ورفض من صديقه دراهما؟؟..

وهو على فقره هذا ـ كان كريما جوادا، فقد قال يحيى بن هلال الوَرَّاق:

ـ وجئت إلى محمد بن عبد الله بن نمير، فشكوت له، فأخرج إلى أربعة دراهم، أو خمسة، قال:

ـ هذا نصف ما أملك . .

ـ جئت إلى عبد الله أحمد بن حنبل، فأخرج إلى أربعة دراهم، وقال:

ـ هذا جميع ما أملك؟؟

وقد مرت بالإمام ظروف صعبة جدا، منها، غيابه أياما، فلم يره أصحابه، ولما جاءوا ليسألوا عنه، وجدوا أن ثيابه قد سرقت، واضطر إلى أخذ قرض، وأبى إلا أن يكتبه، وكانت هذه المحنة قليلة، أمام محنة وجد الإمام نفسه فيها، ولم يكن له يد فيها، فهو انسان مسالم، ولا يحارب حاكما، ولا كان يدعو إلى الفتنة المسلحة، أو غير المسلحة، ما دام الإمام، يقيم الصلاة فى أوقاتها.

ورغم ذلك، لم يترك فى حاله . .

وإذا أردنا أن نعرف قصة محنة أحمد بن حنبل، رضى الله تعالى عنه وأرضاه، فلا بد لنا من أن نرجع إلى جذور المسألة، والجذور تعود إلى رجل اسمه « الجعد بن درهم » ، الجعد هذا، كما قيل عنه، مبتدع ضال . . زعم أن الله سبحانه وتعالى، لم يتخذ ابراهيم خليلا؟ ولم يكلم موسى؟ وله أخبار كثيرة فى الزندقة، منها أنه جعل فى قارورة ماء، وهواءا، فتحول إلى دود فقال أنا خلقت هذا؟؟(1).

---

(1) المعروف أن الهواء محمل أيضا بالأتربة! مما يكون وسطا صالحا ومناسبًا ليضرب فيه الدود إذا ما أصابه العفن وهو محبوس بالقارورة ـ الزجاجة ـ على نحو ما ذكر . . المحقق.

وأعلن صراحة أن القرآن الكريم، ليس كلام الله، ولكنه مخلوق كبقية المخلوقات..

ولما أظهر هذا الرأى، أيام هشام بن عبد الملك بن مروان، أخذه هشام وأرسله إلى خالد القسرى، وهو أمير العراق وأمره بقتله.. فحبسه خالد إلى عيد الأضحى المبارك، وبعد صلاة العيد، وفى آخر خطبته قال: انصرفوا وضحوا يقبل الله منكم.. فإنى أريد أن أضحى اليوم بجعد بن درهم، ونزل فذبحه..

ولكن النار لم تخمد، فقد بقيت جمرة ظلت تحت الرماد، ورغم أن المنازعة فى الدين بدعة، إلا أن العلماء ـ فى عهد الإمام أحمد ـ

انقسموا ثلاث فئات هى:

*****

المعتزلة ـ وعلماء الكلام ـ والمحدثون..

وتناقشوا فى مسألة ليست فى الدين، ولا طالبت ببحثها واجهاد العقل فيها آية واحدة من آى القرآن الكريم، أو حديث فى السنة.. ولكن ما حدث، هو أن خرج كل فريق بأدلة على إجابة هذا السؤال:

هل القرآن مخلوق؟ أم هو كلام الله؟

ـ **وكان دليل المعتزلة**: أن كلام الله عبارة عن أصوات وحروف يخلقها الله فى غيره فتصل

كن مع الله

واقرأ سلسلة الدعاء المبارك

١ - لسعة الرزق

٢ - لمحبة الرسول ﷺ وفضلها

٣ - للتحصين من الحسد

٤ - للشفاء وحفظا من الأمراض

٥ - حفظا من السحر والأعمال الشيطانية

٦ - للاستغفار والترحم على الموتى

٧ - للصبر ودفع البلاء

٨ - للحرز والتحصين

٩ - لنصرة المظلومين

١٠ - لسعادة الزوجين والأبناء

١١ - للنصر على الأعداء

١٢ - الزواج والدعاء المبارك

والله ولي التوفيق.

إلى النبى ﷺ، بطرق: الكلام، والوحى، والالهام، والقذف فى القلب.

ـ **ورد عليهم الأشاعرة:** أن كلام الله صفة له، ولكلام الله يطلق اطلاقين ـ كما فى الإنسان ـ فالانسان يكون متكلما بالصوت، أو بكلام النفس الذى ليس بالصوت أو بالحرف..

ـ **وكان رد السلف:** أن المصدر الحقيقى لمعرفة الله وصفاته، هو الكتاب وسنة رسوله، ﷺ، ولا داعى لتسليط العقل فيما لا مراد له فيه. ومن المستحيل أن يكتم رسول الله ﷺ، ما كان ينبغى أن يبلغه..

وظل هذا الأمر على حاله، ورغم كثرة ما

أثاره من جدل، فلم يتدخل أحد من الخلفاء، في هذه المناقشات، إلا من جاهر بالزندقة[1]. .

وإلى أن جاء الخليفة المأمون، الذى استحوذ عليه جماعة من المعتزلة فأزاغوه عن طريق الحق، حتى أعلن، سنة ٢١٢هـ، القول بخلق القرآن؟؟ مضافا إليه تفضيل علىّ، على أبى بكر، عمر. . ولم يلزم أحداً بذلك، حتى ٢١٨هـ. . فقد أمر بإرغام علماء الدين، على تأييد رأيه. .

فكتب المأمون لاسحاق بن ابراهيم، رئيس الشرطة ببغداد، بامتحان القضاة، والمحدّثين، بأن يجمعهم ويقرأ عليهم كتابة الذى يعلن فيه رأيه، بخلق القرآن. .؟؟ على ما رأيت

(١) أعلنها. . المحقق.

وككل عصر فهناك الأقوياء وهناك الضعفاء . .

وقد استجاب للمأمون كثيرون، خوفا من سيفه، لأنه أكثر التهديد والوعيد . . ولما رأى المأمون أن وعيده قد أتى بثماره . . كتب كتابا آخر لاستدعاء من هم أكثر ذكرا[1] من المحدثين والفقهاء . .

وأعلن أنه لا توحيد[2] لمن لم يقر بأن القرآن مخلوق؟؟ . .

وأحضر اسحاق بن ابراهيم، مجموعة من العلماء، بينهم الإمام أحمد بن حنبل . . الذى جلس يدعو الله أن يخلص المسلمين من هذه المحنة . .

ولما كان الجمع - فى هذه المرة - يشتمل على

(١) يريد أنبه . . المحقق.

(٢) أى : لا يقبل.

كبار العلماء.. فقد كان يلزم أن يدبر رئيس الشرطة، الجلسة بذكاء؟؟.. فمهد رئيس الشرطة قائلا:

ـ أنتم المحافظون على تعاليم ديننا الحنيف.. وقد كثرت وواجب علينا أن نساعده ونطيعه.. حتى لا تكون[1] فى الأرض فتنة، فقد كتب أمير المؤمنين كتابا بالحكم فى هذا الشأن.. وأمرنى أن أمتحنكم.. وانه لا توحيد لمن لم يقر بأن القرآن مخلوق.. فراجعوا أنفسكم، واعلموا أن المشرك، عقوبته الاعدام وأرى أنكم محل احترام من الجميع،

---

(1) لا تقع.. المحقق.

ولا داعى لأن يسجن أحدكم، ويجلد..؟؟

ثم قرأ كتاب أمير المؤمنين عليهم مرتين، حتى فهموه، ثم قال لبشر بن الوليد:

ـ ما تقول فى القرآن؟

قال فى ثبات:

ـ القرآن كلام الله

قال رئيس الشرطة، فى عصبية:

ـ لم أسألك عن هذا.. أمخلوق هو؟؟

ـ ألله خالق كل شئ..

ـ فالقرآن شئ؟

ـ فمخلوق . .

ـ ليس بخالق . .

صرخ رئيس الشرطة، وقد نفد صبره:

ـ لم أسألك عن هذا؟ أمخلوق هو؟؟

ـ ليس عندى غير ما قلت لك . .

فأمر الكاتب أن يكتب ما قال

ثم نظر إلى على بن أبى مقاتل، وقال :ـ ما تقول، ياعلى؟

ـ القرآن كلام الله، وإن أمرنا أمير المؤمنين بشئ، سمعنا وأطعنا

فقال رئيس الشرطة للكاتب:

ـ اكتب مقالته؟

ثم نظر إلى أبى حسان الزيادى، وقال:

ـ قل، ياحسان ،ما عندك؟

ـ ماذا تريد؟

ـ هل القرآن مخلوق؟؟

ـ القرآن كلام الله، والله خالق كل شئ، وما دون الله مخلوق، وأمير المؤمنين امامنا، وبسببه سمعنا عامة أهل العلم، وقد سمع مالم نسمع، وعلم مالم نعلم، وقد قلده الله أمرنا.. فصار يقيم حجنا، وصلاتنا، ونؤدى

إليه الزكاة وأمرنا أن نجاهد معه.. ونرى امامته إمامة، إن أمرنا آتمرنا، وإن نهانا انتهينا، وإن دعانا أجبنا..

وأصر على مقالته..

فأتجه رئيس الشرطة، إلى الإمام أحمد بن حنبل، فقال له

ـ ما تقول فى القرآن؟؟

قال الإمام أحمد بثبات:

ـ هو كلام الله

فرد رئيس الشرطة:

ـ أمخلوق هو؟

فرد الإمام أحمد:

ـ هو كلام الله، ،لا أزيد عليها[1].

***

ماذا تفعل، ياأحمد بن حنبل، فى هذا الموقف العصيب. آه، ان الثمن باهظ.. الجلد

(١) ويرى البعض أن الجَعْدَ أخذ فكرة الخلق عن أبان بن سمعان عن طالوت بن أعصم عن عمه لبيد اليهودى القائل بخلق التوراة.. واليهود يقولون بخلق التوراة.. فالفكرة يهودية الأصل.. المحقق.

صدر بفضل الله أدعية رائحة الجنة

دعاء الرسول ﷺ لقضاء الدين	هدية الرسول ﷺ للفوز بالشفاعة
هدية الرسول ﷺ فى ليلة القدر	وضوء الرسول ﷺ ودعاؤه
دعاء الرسول ﷺ لساكنى القبور	هدية الرسول ﷺ لجلب الرزق
دعاء الرسول ﷺ لختم القرآن	رقية النبى ﷺ للشفاء مـــن الأمراض
دعاء الرسول ﷺ فى سفره	هدية الرسول ﷺ لقهر الشيطان
أذكار الرسول ﷺ فى الليل والنهار	دعاء الرسول ﷺ لإبطال السحر
دعاء الرسول ﷺ للنجاة من عذاب القبر	دعاء الرسول ﷺ فى يوم عرفة
هدية الرسول ﷺ للتوبة من المعاصى	دعاء الرسول ﷺ يوم الجمعة
هـــدية الرسول ﷺ لقهر الحسد	دعاء الرسول ﷺ عند نومه وأرقه
هدية الرسول ﷺ لتفريج الكروب	دعاء الرسول ﷺ بأسماء الله الحسنى
صيام الرسول ﷺ ودعاؤه	كل ذلك تجده فى
صلاة الرسول ﷺ ودعاؤه	دار ابن لقمان للنشر والتوزيع

والسجن، ولكن حبك لله ولرسوله، ﷺ، سيسلمك من بطشهم. انها محنة تحسبها فى قلبك..

رئيس الشرطة يدعو رجلا رجلا.. البعض أقر خوفا. بأن القرآن «مخلوق»؟؟[1].

والبعض، قال بشجاعة: القرآن كلام الله..

ولما فرغ، تذكر رئيس الشرطة أن موقفه سيكون ضعيفا، أمام الخليفة، ان قال هؤلاء الرجال يعارضون المأمون، فراح يدبر كل حيلة

(1) وقيل أن أول من نشر فى المسلمين دعوى الخلق، المغيرة بن سعيد العجلى من أتباع عبد الله بن سبأ اليهودى.. فالفكرة يهودية من أكثر من وجه.. المحقق.

ووسيلة، لجمعهم على التراجع عن موقفهم هذا، ولكن أمام ثباتهم رأى أن لا حيله له، وأرسل للخليفة بما حدث، فرد عليه المأمون: الرافض مشرك، يجب قتله ان لم يرجع عن كفره، وأمره بأن يقتل بشر بن الوليد، وابراهيم بن المهدى ان أصروا على رأيهما.

وأن يرسل لأمير المؤمنين برأسيهما. وقل لأحمد بن يزيد (بن العوام)، أنه لا يحسن الجواب فى القرآن، فأعلمه أنه صبى فى عقله،، لا فى سنة. جاهل. وأنه كان لا يحسن الجواب فى القرآن، فسيحسنه اذا أخذه التأديب، ثم ان لم يفعل، كان السيف من وراء ذلك، ان شاء الله.

وأما أحمد بن حنبل، فأعلمه أن أمير المؤمنين، استدل على جهله وآفته بها

ومن لم يرجع عن شركه، فآحملهم أجمعين موثقين الى عسكر أمير المؤمنين، مع من يقوم بحفظهم وحراستهم فى طريق، حتى يؤديهم إلى عسكر أمير المؤمنين.. فإن لم يرجعوا، ويتوبوا، حملوا جميعا على السيف، ان شاء الله، ولا قوة إلا بالله..

ياآلله؟ السيف.. اذن.. دنا العمر من الفناء، ياأحمد بن حنبل، وما أعظم أن تموت شهيدا.. فلو قلت بمقولتهم، لتزعزعت ثقة الناس فى دينهم.. وجاء كل مجنون ليقول

فيخاف الناس أن ينهوه.. إلى أن يضيع الحق وينتصر الباطل.

وها هو رئيس الشرطة يريد أن يثبت وجوده، فيدبر الحيل ليتراجع الشجعان عن شجاعتهم، فمرة هو بالوعيد، ومرة بالحيلة.. وفعلا يتراجعون واحدا فواحدا، خوفا من بطش السيف..

ونجح رئيس الشرطة فى أن يجعل الجميع يتراجعون، ولكنه لم يفلح مع أربعة منهم، هم: الإمام أحمد بن حنبل، وأحمد بن نصير، ومحمد بن نوح، ونعيم بن حماد..

وقد أصروا جميعا على موقفهم، لأنهم، لو

استجابوا لكان هذا ايذانا بتعرض القرآن، والاسلام، إلى محنة لا يعلم إلا الله مداها، وكان كذلك، إيذانا بأن يأتي جاهل، أو ذو هوى فيؤثر على الخليفة، فتصبح عقائد الناس تابعة لهوى الخلفاء ومن وراءهم من الفجار والمنافقين، والعابثين برسالة الإسلام.. فكان أن ضحوا هم بأنفسهم وجادوا بها في سبيل سلامة عقائد الناس.. أما الباقون، فلم يكن عندهم من التحمل والصبر.. وتأول قوله تعالى (إلا من أكره وقلبه مطمئن بالايمان)..

***

عندما يشتد الكرب، وتضيق الحلقة على المؤمن، لا بد أن يطمئن الله عبده المؤمن.

• وقد اشتد الكرب، وضاقت الحلقة على الإمام أحمد بن حنبل، وجلس فى انتظار تنفيذ حكم الإعدام فيه.. وبينما هو على هذه الحال، دخل عليه الربيع.. وهو يصلى الفجر، فصلى معه، وقال له:

ـ هذا كتاب من أخيك الشافعى.. من مصر..

إغرورقت عينا الإمام أحمد بن حنبل.. عندما فتح الكتاب وقرأه.. وقال للربيع:

ـ الإمام الشافعى، يذكر أنه رأى النبى ﷺ، فى المنام، فقال له: اكتب إلى أبى عبد الله بن حنبل، واقرأ عليه السلام.. وقل: انك

ستمتحن وتدعى إلى خلق القرآن.. فلا تجبهم.. فسيرفع الله لك علما يوم القيامة)..

ارتفعت معنويات الإمام أحمد.. ولكنه ظل لا يعرف ما يخبئه الغيب.. إلى أن جاء الجنود وقيدوه.. وحملوه مع محمد بن نوح، وحملوهما فوق بعير واحد.. ليسلموهما إلى الخليفة المأمون.. وجاءت بشارة الله، مرة أخرى، من رجل أعرابى قابلهما فيى الطريق، فسلم على الإمام أحمد، وقال له الرجل، ويدعى، جابر بن عامر:

ـ أنت نائب عن المسلمين، فلا تكن شؤما عليهم.. واياك أن تجيبهم إلى ما يدعونك إليه، فتحمل أوزارهم يوم القيامة.. إن كنت

تحب الله فاصبر على ما أنت فيه، فإنه ما بينك وبين الجنة إلا أن تقتل.. وإنك أن لم تقتل فستموت[1]، وإن عشت عشت حميدا[2]..

آه، لم يتركك ربك تعانى وحدك.. ولكن البشارة دائما تأتيك من حيث لا تدرى، ففى لحظة عطشك، يرسل الله لك قطرات من الإيمان، تقوى بها روحك.. لتصبر على ما ستلاقيه من أهوال..

لقد رخص الموت، أمام كلمات هذه الأعرابى « إن بينك وبين الجنة، أن تقتل»، ما أروعها كلمة.. نعم يا أخى، إن لم أقتل

(١) المراد أن كل أحد لا محالة ميت فلا يهابنّ القتل، وليمت شهيدا شريفا.. المحقق.

فسأموت، وان عشت، فيجب أن أعيش حرا.. لا تخف يا أخى المسلم، لا تخافى يا أمة الاسلام.. فأنا فداؤك... ولن أجيبهم أبدا لما يدعوننى إليه..

آه.. الطريق طويل.. والسفر كئيب.. ولا يعلم ما فى الغيب إلا الله وحده.. قربت لحظة لقاء الله، فقد اقتربوا من جيش الخليفة، والسيف الآن يسن لرقبتيهما.. ونزل الجميع قبل وصولهم لجيش الخليفة.. جاء الإمام أحمد بن حنبل.. خادم يبكى بكاء حارا.. وقال للإمام أحمد:

- يعز علىّ، يا أبا عبد الله أن المأمون قد سلّ سيفا لم يسل قبل ذلك.. وانه يقسم

بقرابته من رسول الله ﷺ، لئن لم تجبه إلى القول بخلق القرآن، ليقتلنك بذلك السيف؟؟

آه، لقد دنت لحظة تنفيذ حكم الاعدام. ولا ملجأ ولا مفر إلا إلى الله تعالى وحده. جثا الإمام أحمد على ركبتيه، ورمق بطرفه إلى السماء، قال:

ـ(سيدى، غر حلمك هذا الفاجر، حتى تجرأ على أولائك، بالضرب والقتل.. أللهم فإن يكن القرآن كلامك، غير مخلوق.. فاكفنا مؤونته)..

دعوة من القلب إلى رب العباد.. وهل يترك الحبيب حبيبه.. لقد رفع الإمام يده إلى ربه يدعوه.. ودعوة المظلوم لا ترد.. وليس

دونها من حجاب.. لقد أجيبت دعوتك يأحمد بن حنبل.. لقد مات الخليفة، فى الثلث الأخير من الليل.. مات وترك السيف الذى كان سيبطش به..

ونجا الإمام أحمد من تنفيذ حكم الاعدام فيه.. وأخذ الله تعالى، الظالم بما جنته يداه.. فسبحان من لا يغفل.. ولا ينام.. وسبحان من له الدوام..

*****

كن مع الله وأنت تقرأ
سلسلة
فى ظلال الشعراوى الإسلامية

- رد القضاء وإطالة الأعمار.
- مفاتيح الرزق وتفريج الكروب.
- المرأة المسلمة وفتنة الشيطان.
- المرأة العصرية بين السعادة والشقاء.
- الأمراض معجزة الوقاية والعلاج.
- نصائح ذهبية للمرأة العصرية.

الوحشية فى تعذيب الإمام

أيام السجن طويلة.. ولمّا يأت الفرج بعد؟.. فقد أوصى المأمون، خلفه المعتصم بالاستمرار فى المحنة.. والاهتمام بأشد المناصرين لها، قاضى القضاة، عند المأمون، أحمد بن أبى دؤاد واشركه معه فى الأمور كلها..

ولما عرف عم الإمام أحمد بما تخبئه الأيام له، زاره فى السجن، وقال له:

ـ أصحابك، ياأحمد، تراجعوا، ولهم عذرهم أمام الله، فلماذا تصر أنت على

موقفك؟؟

فرد الإمام:

ـ وماذا تصنعون بحديث خبّاب: «ان من كان قبلكم، كان ينشر أحدكم بالمنشار، ثم لا يصده، ذلك عن دينه»؟؟

ولما يئسوا منه، قالوا له:

ـ ياأحمد، ان التعذيب لن يكون هينا، ولن تقدر عليه، وقد يقتلونك

فرد قائلا:

ـ لست أبالى بالحبس.. ما هو ومنزلى إلا شئ واحد، ولا قتلا بالسيف، إنما أخاف فتنة السوط. وأخاف ألا أصبر..

سمعه أهل الحبس وهو يقول ذلك، فقال أحدهم:

ـ لا عليك يا أبا عبد الله فما هو إلا سوطان، ثم لا تدرى أين يقع الباقى

ارتفعت الروح المعنوية للامام أحمد، ولكن والأمر لم يستمر طويلا.. فقد استدعاه الخليفة المعتصم، هو ومحمد بن نوح، من سجنهما فى الرقة، إلى بغداد... فى كامل أغلالهما.. ولكن محمد ابن نوح مات فى الطريق، فصلى عليه أحمد وهو مقيد.. ما أصعب ما سيواجهك يأحمد بن حنبل؟..

يأيها الإمام الصابر على ما ابتليت به..

فستقع فى يد الخليفة المعتصم الذى يجتمع فيه الجهل والشدة، وقد استغل ابن أبى دؤاد فى المعتصم، جهله واستفاد من عنفوانه.

وما أصعب أن يجتمع فى انسان، الجهل والشدة..

ومكث الإمام أحمد مسجونا، فى دار اكتريت[1] له بجوار دار عمارة ببغداد، وكان مقيدا، ومكث فى هذا الحبس قليلا، ثم تحول إلى السجن نيفا وثلاثين شهرا، ورغم القيود، كان يصلى ويحمد الله على نعمته، فقد اختاره ليمتحنه، وليحمى به دينه، والجزاء للصابرين

(١) أجرت.. مرشد الأريب. للخيارى.. المحقق.

كبير..

انه الإمام القنوع، الذى عاش بين المسجونين، يحبهم ويحبونه ويجلّونه، حتى انه فى احدى المرات، أصابه العطش، فطلب من صاحب الشراب ماء، فجئ بماء مثلج فأمسك الإمام بالماء المثلج ونظر إليه، ثم تركه بدون شراب.. فقال له السجان:

ـ لماذا لم تشرب؟

فرد الإمام أحمد:

ـ أعندك شراب يكفينى ومن معى فى السجن؟

فأجابه السجان:

ـ لا؟؟

فقال الإمام:

ـ فكيف أشرب، ومن معى فى السجن لا يشربون؟؟

أية انسانية هذه، التى جعلت الإمام يرفض ماء مثلجا وهو الظمآن لقطرة ماء.. لأن من معه لا يرتوون. أو لن يرتووا هم مثله.. وهم معا فى محنة واحدة.. فكيف يتميز عليهم؟؟

إن الايمان قد تخلله من كل مسام جسده..

ولم تكن حياته فى السجن مريحة، فقد

تحداه اسحاق بن ابراهيم، رئيس الشرطة ببغداد، فقد كان يوجه له كل يوم رجلين ينظرانه، حتى إذا أرادا الانصراف، دعى بقيد فزيد فى قيوده، فصار فى رجليه أربعة قيود، وليت الأمور استمرت إلى هذا الحد.. فقد قال رئيس الشرطة للامام أحمد، على لسان الخليفة المعتصم:

ـ يا أحمد، انها والله نفسك، انه لا يقتلك بالسيف وانه قد آلى على نفسه، ان لم تجبه إلى ما يطلب، ليضربنك ضربا بعد ضرب، وليلقينّك فى موضع لا ترى فيه شمسا ولا قمرا..

زاد التهديد، وزادت الأغلال وزاد الوعيد المر، وطلب المعتصم الإمام، فأفرج عنه، وجئ بدابة فحمل عليها، وعليه القيود، وما يمسكه أحد فكاد أن يخر على وجهه لثقل الحديد..

ووصل إلى بيت المعتصم فى جوف الليل، فدخل حجرة وأقفل الباب عليه، ولم يكن بالحجرة سراج، فبحث فى الظلام عن ماء ليتوضأ فوجد طستا به ماء فتوضأ بشق الأنفس وصلى..

وبالنهار أخرج تكته من سرواله وشدد بها الأغلال يحملها، وجاء رسول المعتصم فأخذه وأدخله، والتكة فى يده، يحمل بها الأغلال،

وكان المعتصم جالسا، وبجواره ابن أبى دؤاد، وأصحابه.. وقال المعتصم:

ـ أدنه منى

فظل يقترب منه.. ونظر طويلا للمعتصم، وقال الإمام أحمد للمعتصم:

ـ الام دعا الله ورسوله؟

رد المعتصم:

ـ إلى شهادة أن لا إله إلا الله

فقال الإمام أحمد:

ـ أنا أشهد أن لا إله إلا الله. ان جدك ابن

عباس، لما سأله وفد عبد القيس عن الإيمان.. قال لهم: شهادة ألا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن تعطوا الخمس من الغنم..

رق قلب المعتصم، وقال للإمام أحمد:

ـ لولا أنى وجدتك فى يد من قبلى، ما عرضت لك ونظر لعبد الرحمن بن اسحاق، وقال:

ـ ألم آمرك برفع المحنة؟

قال الإمام، بفرح:

ـ الله أكبر.. ان فى هذا لفرجا للمسلمين؟؟

ولما رأى كل من حوله من أصدقاء السوء يستنكرون قراره، قال لهم:

ـ ناظروه.. كلموه.. ياعبد الرحمن، كلمه

ظل الإمام يناظرهم، ويرد عليهم، ولكن أصحاب السوء يسرون فى أذن المعتصم ما يسرون.. فالإمام يتكلم، ويناظر، ولكن القلوب عليها أقفالها، وأن رأس الحية كان يقول للمعتصم، كلما انقطع الرجل منهم:

ـ أحمد بن حنبل.. ضال مبتدع؟؟

فيرد المعتصم:

ـ كلموه.. ناظروه

وهو ينظر إلى الإمام، يناظر هؤلاء ويرد، فاذا انقطعوا، يقول المعتصم:

ـ ويحك ياأحمد، ما تقول؟؟

فيرد الإمام بذكاء شديد:

ـ أعطونى شيئا من كتاب الله، وسنة رسوله عليه الصلاة والسلام، حتى أقول به..

فقال ابن أبى دؤاد، بغضب يكتمه، وحقد قد ملأ قلبه:

ـ ألا تقول إلا بما فى كتاب الله أو سنة رسوله عليه الصلاة والسلام

فرد عليه الإمام أحمد:

ـ قلت بدعة ليست فى القرآن والسنة، وما

تأولت ما يحبس عليه وما يقيد عليه(ولكن، كيف يغلب رجل واحد، كل الثعابين المحيطة بالمعتصم الذى ملأ أصحاب السوء رأسه ببدعة خلق القرآن)، ودعا الإمام أحمد لمجلسه مرتين، ليعرض عليه البدعة

والإمام أحمد يأبى عليه أشد الاباء..

ولكن، هل يترك الذئاب الإمام أحمد على هذا الحال؟..

لقد تكالبوا على الخليفة المعتصم، وأقنعوه أن الإمام أحمد يتحداه.. ولا بد من ردعه، حتى لا يجرؤ أحد على معصيته، وأقنعوه أن يعذبه حتى يكون عبرة لمن يعتبر..

ومازالوا به يحشون رأسه، وينفخون فى الجمر ليصير حريقا، حتى أقنعوه أن يحضر الإمام لتعذيبه.. وتم لهم ما أراوا.. فجهزت الدار بالسياط والسيوف والخشبة التى سيعذب عليها بالجلد.. ودعى الإمام أحمد، فدخل، والدار ممتلئة بالحراس وكأنهم أرادوا إرهاب رجل واحد، بجيش كامل العدة والتسليح، وأنه جاهز للحرب،

فقوم معهم السيوف تلمع، وقوم معهم سياط منظرها مرعب.. وأدوات التعذيب من كل لون، مع الحراس والجنود.. فلما اقترب من الخليفة، قال فى غضب دون أن ينظر

للامام أحمد:

ـ ناظروه

رد الإمام على الثعابين، ولكن صوته علا على صوتهم، لأنه صوت الحق، وأصحاب السوء يوشوش[١] ثلتهم [٢] فى أذن الخليفة:

ـ ألا ترى علو صوته.. انه لا يهابك، ويريد تأليب[٣] الناس عليك..

فقال الخليفة المعتصم، للامام أحمد وهو يكتم غضبه:

---

(١) يهمس.. المحقق.
(٢) جماعتهم من عصبة الشر المحقق.
(٣) إثارتهم.. مرشد الأريب. للخيارى.. المحقق

ـ ويحك يا أحمد، أجبنى حتى أطلق عنك بيدى[1] فرد الإمام أحمد، كما رد على الذين ناظروه:

فنظر أصحاب السوء للمعتصم فى تشف، وكأنهم يقولون له:

ـ ألم نقل لك ان هذا الرجل لا يهابك

فقال المعتصم بغضب:

ـ عليك (وذكر اللعن).

وعقب فى غضب أكبر:

ـ خذوه، واسحبوه واجعلوه..

---

(١) أى بنفسه. المحقق.

آه، جاءت لحظة العذاب.. والتعذيب، يا إمام، هل ستصبر عليه؟.. لم يرتجف قلب الإمام أحمد، فقد زوده الله بقوة وصلابة الفولاذ. وثبات الجبال.. وخلعوا ملابس الإمام أحمد، حتى وصلوا إلى شعر النبى عليه الصلاة والسلام، فى كم قميص الإمام أحمد، فسأله اسحاق بن ابراهيم:

ـ ما هذا المصرور فى كمك؟

قال الإمام أحمد:

ـ هذا شعر من شعر النبى عليه الصلاة والسلام

ولأن القلوب لم تكن بها ذرة ايمان، فقد أرادوا خرق قميص الإمام أحمد، الا أن المعتصم قال لهم:

ـ لا تخرقوا القميص

فخلعوا القميص، وجلس المعتصم على الكرسى، ثم قال:

ـ أحضروا الخشبتين ليشبح[1] بينهما أحمد ليجلد

انها لحظة الامتحان يأيها الإمام العظيم.. هل ستصبر .. لا شك أن القلب هو قلب

---

(١) ليرفع ويصلب. المحقق

انسان يرجف لما وصل إليه ظلم الانسان لأخيه الانسان . .

ماذا فعلت ياعظيم القرن الثالث لتجلد، يامن وصفك الإمام الشافعى فقال: (الإمام أحمد إمام فى ثمانى خصال: إمام فى الحديث، وإمام فى الفقه، وإمام فى اللغة، وإمام فى القرآن، وإمام فى الفقر، وإمام فى الزهد وفى الورع، وإمام فى السنة) . .

هل من رجل تجتمع فيه كل هذه الخصال؟؟ ينتفع الناس بعمله أم، يشبح على خشبتين ليجلد؟؟ . .

انك، بالقطع ستصبر على هذه المحنة، يا

أيها الإمام العظيم.. فقد صبرت! وكيف لا وأنت الذى صبرت على الفقر.. ولا تعجب يا أخى المسلم إن عرفت أن الإمام أحمد، قد صبر على الفقر سبعين عاما.. ولم يكن صبره هذا إلا عن نفس متواضعة، فقد قال له رجل يوما،

ـ جزاك الله عن الاسلام خيرا

فقال:

ـ لا، بل جزى الله الاسلام عنى خيرا

ثم قال:

ـ من أنا.. من أنا

ولم يكن صابرا فحسب، ولكنه المحب للاسلام، ولرب الاسلام ولبنى الاسلام، ولنبى الاسلام ﷺ..

فقد كان يدعو الله قائلا: (أللهم ان قبلت عن عصاة أمة محمد ﷺ، فاجعلنى فداء لهم)..

ولم يكن يسأل غير الله، فقد كان دعاؤه (أللهم كما صنت وجهى عن السجود لغيرك فصن وجهى عن المسألة لغيرك)

وإن كان المسلمون يستشهدون بما يقول، فما بالك بامرأتين مجوسيتين اختصمتا فى مواريث لهما، إلى رجل من المسلمين قضى لواحدة

منهما على الأخرى، فقالت له:

ـ ان كنت قضيت بقضاء أحمد بن حنبل، رضيت !

ما أعظمك ياعظيم القرن الثالث.. اصبر.. انك تبايع الله.. ولا عجب، فقد رأى محمد بن سليمان الباعندى يقول:

ـ حججت إلى بيت الله الحرام، فلما قضيت حجتى، دخلت المسجد فنعست[1] فى المسجد فرأيت فى المنام علما أخضر قد نزل من السماء إلى الأرض، فيه مكتوب أبيض، وإذا

(١) يريد غفوت. المحقق

فيه(لا إله إلا الله. محمد رسول الله. أحمد ابن حنبل بايع الله تحت العرش)..

لقد مر كل ذلك، بخاطر الإمام، حين جيئ بالخشبتين ليشبح بينهما، ومد يده فقال بعض من حضر خلفه:

ـ خذ بأى الخشبتين بيدك، وشد عليهما..

فلم يفهم الإمام أحمد، فتخلعت يداه.. يالقسوة الانسان.. مسلم يجلد مسلما ياللعار؟؟ لقد اهتزت السماء، وكادت الجبال تخر[1]، حزنا على هذه اللحظة التى سيجلد فيها الإمام أحمد..

إن المعتصم، بجبروته، لان حين رأى الإمام أحمد يشبح على الخشبتين، ورأى ثباته وتصميمه وصلابته فى امره..

ولكن ابن أبى دؤاد لم يتركه،، فإذا به يقول له:

ـ إن تركته[٢]، قيل إنك تركت مذهب المأمون، وسخطت[٣] قوله.. فهاج المعتصم، فقد استغل الشيطان، جهل المعتصم، واستفاد من بطشه وصاح المعتصم، عندما رأى السياط:

ـ ليحضر الجلادون

(١) كناية عن عظم ما يلاقى الإمام. المحقق

(٢) يريد عفوت عنه. المحقق

(٣) استهنت.. المحقق

وعندما حضروا، قال المعتصم:

ـ تقدموا

فيتقدم رجل رجل فيضرب الإمام سوطين فيصرخ المعتصم:

ـ شد.. قطع الله يدك[1].

وينحيه، ويحضر آخر، أكثر قوة من الأول، وهو يصرخ فيه

ـ شد.. قطع الله يدك

تسعة عشر سوطا تقع على الجسد الطاهر، لكنها لم تزعزعه عن ايمانه ويقينه.

(١) اضرب بقوة وبلا رحمة وهو دعاء عليه للتحفيز للتنفيذ للأمر.. المحقق

فقام له المعتصم، وقال له:

ـ يا أحمد، علام تقتل نفسك؟ إنى والله عليك لمشفق وصاح فى عجرفة وقام، لنخسه بقائم سيفه، وراح يزداد صياحا:

ـ أتريد أن تغلب هؤلاء كلهم؟؟

وجعل بعض الحاضرين يقولون بحقد:

ـ ويلك؟ الخليفة على رأسك قائم

وقال آخرون:

ـ يا أمير المؤمنين، دمه فى عنقى، اقتله؟؟

وقال المنافقون:

ـ أنت صائم، وأنت فى الشمس قائم؟؟

فيقول المعتصم:

ـ ويحك يا أحمد.. ما تقول؟؟

ماذا تقول، يا إمام، والدم ينزف من جسدك الطاهر، والألم يعتصرك اعتصارا.. وأنت صائم، ومنهوك القوى.. هل تجيبهم.. لا.. إنك تبايع الله تحت العرش، فأبو بكر، كان وحده فى الردة.. وأنت وحدك فى المحنة..

قال الإمام أحمد:

ـ أعطونى شيئا من كتاب الله

هاج المعتصم، وقال صائحا فى الجلادين:

ـ تقدموا.. شد، قطع الله يدك؟؟

هبطت السياط على ظهر الإمام، وهوفى عالم آخر، عالم من الايمان والتقوى وعالم من اليقين.. وكان الله حليما بالإمام أحمد.. فغاب عن الوعى، فلم يعد يشعر بشئ.. وأغلظ الظلمة له فى وجهه، وداسوا فوقه فما شعر بذلك..

وعندما أفاق، وجد الأغلال قد أطلقت عنه، وكان ذلك، فى اليوم الخامس والعشرين، من شهر رمضان، من سنة احدى وعشرين ومائتين.. وقالوا له لما رأوا حالته قد ساءت كثيرا:

ـ اشرب وتقيأ

فرد عليهم بضعف.. والكلمات تكاد لا يقوى على التفوه بها:

ـ لا أفطر؟؟

وصلى والدم يسيل من ثوبه؟؟؟

ولأن الله تعالى، يدافع عن الذين آمنوا.. فقد ساق الناس على الباب.. وضجوا حتى خاف السلطان فخلى سبيله، بعد أن مكث فى السجن ثمانية وعشرين شهرا..

خرج الإمام قويا، رغم حالته السيئة، حتى ان تكة ملابسه انقطعت، فنزل الثوب إلى عانته، فرمى بطرفه إلى السماء، وحرك

شفتيه، فما كان بأسرع من ثبوت السراويل على حالتهما فلم تتزحزح..

وعندما سأله ميمون بن الأسبع، وماذا قال الإمام.. قال الإمام أحمد:

- قلت: أللهم إنى أسألك، باسمك الذى ملأت به العرش، إن كنت تعلم أنى على صواب فلا تهتك لى سترا..

خرج الإمام أحمد، قويا بعد غضبة الناس.. حتى ان المعتصم دعا عم الإمام أحمد ابن حنبل، وقال للناس:

- أتعرفونه؟ انى سلمته لكم صحيح البدن

فهدأ الناس، وسكنوا

ولا تتعجب، إن أنا قلت لك إن الحقد لم يكن يعرف قلب الإمام أحمد بن حنبل..

حتى إنه جعل المعتصم، فى حل من ضربه، يوم فتح بابل، أو فى يوم فتح عمورية..

تلك والله هى أخلاق الأئمة الكرام، يعفون ويصفحون، ويهدون إلى طريق السلام، والله تعالى لا يضيع لهم أجرا، على ثباتهم فيما يتعرضون له من المحن التى تزلزل الجبال الشم.

*****

كن مع الله وأنت تقرأ

سلسلة

زاد المسافر

- قصص أهـــــل الجنة..
- قصص أهـــــل النار..
- قصص إبليس مـــع النساء..
- وصف الرسول وثمار محبته..
- قصص إبليس مـــع الأنبياء..

● بسعر زهيد ●

كل ذلك فى دار ابن لقمان

نفى الإمام... والحجة الدامغة

خرج الإمام من السجن مريضا، حتى ان الجرائحى (الطبيب الجراح) قطّع لحما ميتا من جسده ليداويه.. خرج قويا، ورآه العلماء صديقا، وآثر السجن والعذاب والضرب وأشنع التنكيل، وترقب الموت فى سبيل الله ليحفظ على الناس عقائدهم، ويحفظ مكانة كتاب الله

فخلد اسمه على وجه الدهر. وقرن بأبى بكر الصديق رضى الله عنه وأرضاه.

ووصل تواضعه إلى أنه كان يرى أن صبره،

لا يعادل صبر أحمد بن نصير الخزاعى، وكان يقول انهم أغلظوا القول لأحمد بن نصير الخزاعى، فأغلظ لهم فضربوا عنقه وما خافهم.

وقال ابنه:

ـ نظر إلى أبى رجل ممن يبصر الضرب والعلاج فقال: لقد رأيت من ضرب أباك من ضرب ألف سوط. ما رأيت مثل هذا، وجاء بحديدة فجعل يعلق اللحم بها، ويقطعه بسكين كان معه، والإمام أحمد صابر لذلك.؟؟

كان ـ فى أثناء ذلك ـ يحمد الله عز وجل،

فبرئ منه.. ولم يزل يتوجع من موضع منه، وكان أثر الضرب بينا فى ظهره، إلى أن توفى، بعد ضربه، باثنتين وعشرين سنة.

مات المعتصم سنة سبع وعشرين ومائتين، فانبسط الإمام أحمد فى الحديث، ولكن الحسن ابن على بن الجعد، قاضى بغداد، كتب إلى أبى دؤاد، يقول له ان أحمد قد انبسط فى الحديث..

ولأن الأيام لا تمر كما نحب، فقد تسلم الواثق ابن المعتصم، فى ربيع الأول، سنة سبع وعشرين ومائتين الحكم، وجاء الشيطان ابن أبى دؤاد ليحض الواثق، كما حضّ المعتصم

من قبل، على العلماء، وعلى القول بخلق القرآن، فاستجاب له، ولكنه خشى أن يتعرض للامام أحمد، فقد بلغت الأمور ذروتها، واستعد الناس ليثوروا ويحرقوا الأخضر واليابس.. مع ذلك، أرسل للامام أحمد (لا تساكنّى بأرض)؟؟

فاختفى الإمام أحمد، بقية حياة الواثق، ينتقل من مكان إلى مكان، إلى أن مات الواثق.. وكان يقول ـ فى هذه الأيام العصيبة ـ (أللهم رضينا، أللهم رضينا).

ورغم أن الإمام أحمد، قد سلم من السجن، فى أيام الواثق، إلاّ أن المحنة لم يسلم

منها المسلمون، بل، قد جرى ما هو أصعب من ذلك، فقد أتى بالعالم الجليل، أحمد بن نصير الخزاعى، فسأله عن رأيه فى خلق القرآن ـ بعد أن أخبره والى بغداد، بأنه ينكر القول بخلق القرآن ـ فاستمر أحمد بن نصير فى انكاره، وغضب الواثق، ودعا بالسيف، وقال:

ـ إنى أحتسب خطاى إلى هذا الكافر، الذى يعبد ربا لا نعبده، ولا نعرفه بالصفة التى وصفه بها، ثم سار إليه فضرب عنقه وأمربه فحمل رأسه إلى بغداد، فنصبه بالجانب الشرقى شهورا، وبالجانب الغربى شهورا، ولما

صلب، كتب الواثق ورقة وعلقت فى أذنيه وفيها: (هذا رأس أحمد بن نصير بن مالك، دعاه الإمام عبد الله الإمام هارون - وهو الواثق، إلى القول بخلق القرآن، ونفى التشبيه، فأبى إلا المعاندة، فحمله الله إلى ناره) ووكل بالرأس من يحفظه ويصرفه إلى القبلة.

لقد بلغت المحنة فى زمن الواثق، ذروتها، وان لم يصب الإمام منها بأذى فى جسمه وكلما اشتدت الأزمات يقترب الفرج، ففى أواخر حكم الواثق، الذى دام خمس سنوات، أقدم الواثق شيخا من أذنه، فأدخل مقيدا، وهو جميل حسن الشيبة.

وقال المهتدى، ابن الواثق:

ـ رأيت الواثق استحى منه ورق له، فما زال يدنيه حتى قرب وجلس، فقال له:

ـ ناظر ابن أبى دؤاد

قال الشيخ:

ـ ياأمير المؤمنين، انه يضعف عن المناظرة

غضب الواثق، وقال:

ـ أبو عبد الله، يضعف عن مناظرتك أنت؟؟

قال الشيخ:

ـ هوّن عليك واذن لى فى مناظرتك

فقال الواثق:

ـ ما دعوناك إلا لذلك

قال الشيخ:

ـ احفظ علّى وعليه

واستمر الشيخ يقول لابن أبى دؤاد

ـ ياابن أبى دؤاد، أخبرنى عن مقالتك هذه؟ أهى مقالة واجبة، داخلة فى عقد الدين فلا يكون الدين كاملا حتى يقال فيه ما قلت؟؟

قال ابن أبى دؤاد:

ـ نعم؟؟

فقال الشيخ:

ـ أخبرني عن رسول الله، ﷺ، حين بعثه الله، هل ستر شيئا مما أمر به؟؟

ـ لا

ـ فدعا، إلى مقالتك هذه؟

فسكت ابن أبي دؤاد، فقال الشيخ:

ـ ياأمير المؤمنين، واحدة؟؟

فقال الواثق:

ـ واحدة؟؟

وأكمل الشيخ:

ـ أخبرني، عن الله تعالى، حين قال: «اليوم أكملت لكم دينكم»»، أكان الله هو الصادق، في اكمال دينه، أم أنت الصادق، في نقصانه، حتى تقال مقالتك؟؟؟؟

فسكت ابن أبي دؤاد فقال الشيخ:

ـ ثنتان؟؟

وعقّب الواثق:

ـ ثنتان؟؟

فقال الشيخ:

ـ أخبرني عن مقالتك هذه، أعلمها رسول الله ﷺ، أم جهلها، فقال ابن أبي دؤاد:

ـ علمها

فقال الشيخ

ـ فدعا الناس إليها؟

فسكت ابن أبي دؤاد

فقال الشيخ:

ـ ياأمير المؤمنين، ثلاث؟؟؟

ـ ثلاث؟؟؟؟؟

فقال الشيخ:

ـ واتسع لرسول الله ﷺ، إذ علمها، أن يمسك عنها، ولم يطالب أمته بها؟

فقال ابن أبى دؤاد:

ـ نعم

فقال الشيخ:

ـ واتسع لأبى بكر، وعمر، وعثمان، وعلى، ذلك؟؟

قال ابن أبى دؤاد:

ـ نعم

فاعرض الشيخ عنه، وقال للواثق:

ـ ياأمير المؤمنين، قد قدمت القول أن ابن أبى دؤاد، يضعف عن المناظرة

ياأمير المؤمنين، إن لم يتسع لك الامساك عن هذه المقالة، كما زعم هذا أنه اتسع للنبى ﷺ، ولأبى بكر، وعمر، وعثمان، وعلّى، فلا وسّع الله عليك؟؟

اقشعر بدن الواثق، وقال:

ـ قطعوا قيد الشيخ

فلما قطعوه، ضرب الشيخ بيده إلى القيد فأخذه، فقال الواثق:

ـ لم أخذته؟؟

قال الشيخ:

ـ إنى نويت أن أتقدم إلى من أوصى إليه، إذا أنا متّ، أن يجعله بينى وبين كفنى، حتى أخاصم به الظالم، عند الله، يوم القيامة، فأقول، يارب، لم قيدنى وروّع أهلى؟؟

ثم بكى، فبكى الواثق، ثم أمر أن يجعله فى حل وأمر له بصلة، فقال الشيخ:

ـ لا حاجة لى بها

قال المهتدى، ابن الواثق، وهو أحد شهود هذه المناظرة:

فرجعت عن هذه المقالة، وأظن أن الواثق،

رجع عنها، من يومئذ.

وكان الشيخ أروع من ناظر.. لم يجادل فى صميم المسألة، فهى قابلة للأخذ والرد،، ولكنه أغلق الطريق على ابن أبى دؤاد، وهزمه بذلك شر هزيمة، وأطفأ، فتنة طال أمدها، وذهب ضحيتها رجال من كبار المحدثين، وأجلة الصالحين المصلحين

ولما لان الواثق، بدأت تنقشع.. حتى ان عبادة المخنث، دخل على الواثق، وقال له:

ـ يا أمير المؤمنين، أعظم الله أجرك[1]، فى القرآن.

(١) دعاء يقال لمن فقد عزيزاً. المحقق

نظر إليه الواثق، وقال:

ـ ويلك.. القرآن يموت؟؟

فرد عبادة المخنث:

ـ كل مخلوق يموت.. بالله، يا أمير المؤمنين، من يصلى بالناس التراويح، اذا مات القرآن،،

ضحك الخليفة، قال:

ـ قاتلك الله، أمسك؟؟[1].

***

(١) كف عن مثل تلك المهاترة!. المحقق

نصر الله

بعد موت الواثق، تولى المتوكل، سنة اثنتين وثلاثين ومائتين، فاستبشر الناس بولايته لحبه للناس، وخاصة أهل السنة.. فعلا فقد، كشف الغمة، ورفع المحنة، وأمر بعدم الحديث والخوض فى خلق القرآن..

فعلت بذلك مكانته، ودخل القلوب من أوسع أبوابها، حتى قيل:

(أبو بكر فى الردة، وعمر بن عبد العزيز فى ردة المظالم والمتوكل فى احياء السنة)

ورفع قدر أهل السنة، واشتد على الجهمية، فأمر نائب مصر، بأن يحلق لحية القاضى بمصر، محمد بن أبى الليث، وأن يضربه، ويطوف به على حمار.. ففعل.. وكان ظالما، من رؤوس الجهمية..

أما الإمام أحمد، فقد وقاه الله من الفتن والمحن، حتى ان أبا حاتم الرازى قال للامام أحمد بن حنبل:

- كيف تخلصت من سيف المعتصم، وسوط الواثق؟؟

فرد عليه الإمام:

ـ يأبا زرعة لو جعل الصدق على جرح لبرا؟؟

ورغم رفع المحنة، إلا أن الإمام أحمد، وقع فى محنة خطيرة أخرى، وذلك أن المبتدعة من الجهمية، حين أديل منهم، فأحرقتهم نار أوقدوها، وحاولوا ـ كما تقدم ـ أن يلتمسوا سبيلا أخرى، هى سبيل الكيد والدس والكذب، والمراوغة، يريدون بذلك ايقاع الإمام أحمد، بنقمة الخليفة، فتعاد السيرة له أى ينكل به كالسيرة الأولى، بل ما كان أمامه إلا القتل، لو تمت المؤامرة.. فقد وشى، رجل من المبتدعة ـ يقال له البلخى، وشتى عند

الخليفة، شيئا، فقال:

- إن رجلا، من أهل بيت النبى ﷺ، قد أوى إلى منزل أحمد بن حنبل، وهو يبايع له الناس، فى الباطن؟؟

ولما كان المتوكل أشد الناس على العلوية، بعكس أخيه الواثق، فقد أمر نائب بغداد، أن يحضر بيت الإمام أحمد، ويهجم عليه ليلا، فلم يشعر إلا والبيت مخاصر والمشاعل حول البيت، تنذر بأمر خطير.. فقد أحاطوا به من كل جانب، حتى السطوح..

ولكن الله ينصر الحق، فقد وجدوا الإمام، أحمد جالسا، فى داره، مع عياله، فسألوه،

عما ذكر عنه، فقال:

ـ لا أعرف شيئا مما تقولون.. وإنى لأرى طاعة الله، وطاعة أمير المؤمنين، فى السر والعلانية.. فى عسرى ويسرى، ومنشطى ومكرهى.. وأثره على، وانى لأدعو الله له بالتسديد ليلا ونهارا..

استمروا فى التفتيش، وأدخلوا الرعب على أهل البيت ومحبيه..

تحقق المتوكل من براءته، وأن أهل البدع من الجهمية، هم الذين ركبوا المؤامرة،، ليتم لهم ما أرادوه من اعادة الإمام إلى السجن. أو القضاء عليه فقد كان يمثل شوكة فى عقولهم

الغيبة..

ولما بلغ المتوكل براءة الإمام أحمد بن حنبل، وعلم أن الواشين يكذبون عليه كثيرا.. بعث للامام أحمد بن حنبل، عشرة آلاف درهم.. ولكن الإمام رفض وقال رسول الخليفة، يعقوب بن ابراهيم، المعروف بقوصرة:

ـ أخشى أن يكون ردك اياها، سببا فى وقوع الوحشة بينك وبين الخليفة.. ،المصلحة لك فى قبولها..

ثم تركها.. ولكن، للعجب، فقد سهر الإمام أحمد طوال الليل يرتب كيفية التصدق

بها.. وفعلا فرقها كلها، ما بين الخمسين، والمائة، والمائتين دراهم، فلم يُبْقِ منها درهما واحدا..

وبلغ الخليفة أنه تصدق بالجائزة كلها، حتى كيسها.. وقال له علّى بن الجهم:

ـ يأمير المؤمنين.. انه قد قبلها منك، وتصدق بها عنك.

وماذا يصنع الإمام بالمال.. انما يكفيه رغيف؟؟

فرد المتوكل:

ـ صدقت

هذا هو الإمام أحمد بن حنبل.. الذى نصره الله، وأذل من آذوه.. فالله عزيز ذو انتقام.. فها هو ابن أبى دؤاد، قاضى القضاه زمن المعتصم، والمتوكل.... ورأس الحية، فى إيذاء الإمام أحمد.. فماذا حدث له؟؟

أقاله المتوكل من منصبه.. وصادر أمواله وأملاكه كلها..

ويااليت الأمر كان عند هذا الحد فقط.. ولكنه أصيب بالفالج (الشلل)، فسجن فى جلده...

وما أصعب هذه العقوبة.. فقد عاش ميتا بين الأحياء، ليكون عبرة لمن يفترى على الله

كذبا.. ويحاد الله ورسوله، والأئمة والعلماء..

* وهذا أبو ذر، الذى ضرب الإمام أحمد فى عصر المعتصم أصيب هو الآخر بالبرص.

* وهذا الجلاد أحمد، الذى أصابه مرض الكلب، فظل ينبح مثله تماما..

حتى الذين تناولوه بألسنتهم، لم يسلموا أيضا:

* فهذا محمد بن فضيل، قال: تناولت الإمام أحمد بن حنبل، فوجدت فى لسانى ألما شديدا، وجاءنى فى المنام هاتف يقول: هذا،

لتناولك الرجل الصالح، فتب إلى الله ففعل حتى زال الألم..

* وهذا الرجل الذى عرف أن الإمام أحمد بن حنبل يجلد بالسياط، فظن بجهله أنه «الحق»؟؟.. فدخل المسجد، ليصلى شكرا.. فخسف به إلى صدره، فاستغاث بالناس فأغاثوه؟؟

انتصر الإمام أحمد بن حنبل∴.. ولو كان رجل غيره.. لود لو يأخذ من الدنيا، أكبر قسط، بعد أن حرمته طويلا.. وها هو كل شيء وقد أعد ليتمتع الإمام بالحياة، وتعويض ما فات.. فالمتوكل، أمير المؤمنين، يحبه..

وينصره.. ولكن، ليست هذه طبيعة الإمام أحمد بن حنبل.. فقد دعاه المتوكل إليه..

إنها بشرى للإمام، لقد قدم مرة للإمام، بوشاية من ابن أبى دؤاد، وأهين بالجلد والتعذيب، ومرة جاء وهو معزز مكرم، وقد ردت إليه كرامته ومكانته.. فنزل معززا مكرما، يزوره الأمراء فى كل يوم، ويبلغونه السلام عن الخليفة، وقد جعل الخليفة الدار التى نزل بها الإمام عظيمة لتليق به، وزوّدوها بالمفارش والأثاث الفخم وأراد الخليفة من الإمام أحمد، أن يحدث الناس عوضا عما فاته أيام سجنه.. ولكن صحة الإمام لم تكن

لتسمح، فهو عليل، وأسنانه تتحرك مرضا، وكان الخليفة يبعث له يوميا بمائدة فيها من ألوان الطعام والفاكهة، والثلج بمقدار مائة وعشرين درهما..

ولم يكن الإمام أحمد يأكل منها شيئا، بل كان يصوم.. وظل ثمانية أيام لا يطعم بطعام، حتى زاد ضعفا فوق ضعفه..

والأكثر من هذا، فقد رفض المال الجزيل الذى أعطاه إياه الخليفة جائزة له، حتى إن عبيد الله بن يحيى بن خاقان، وزع المال بينه وبين أهله..

إنه الامتحان الذى تعرض له الإمام أحمد،

الدنيا بذلها وعزها، فصبر على ذلها ورفض عزها رغبة فى لقاء الله سبحانه وتعالى، ومحبة فى رسوله محمد عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام..

نظيفا عند اللقاء، لاتشوبه أدنى شائبة..

فقد كان الإمام حريصا أعظم الحرص، على أمر آخرته، حتى إنه عند عندما قال له أبو بكر المروزى:

ـ كيف أصبحت؟؟؟

رد قائلا:

ـ كيف أصبح. من ربه يطالبه بأداء الفرض،

ونبيه يطالبه بأداء السنة.. والملكان يطالبانه بتصحيح العمل.. ونفسه تطالبه بهواها.. وابليس يطالبه بالفحشاء.. وملك الموت يطالبه بقبض روحه، وعياله يطالبونه بالنفقة..؟؟

ولهذا، لم يكن عجيبا أن يراه أبو بكر المروزى، فى المنام، وعليه ثوبان مصقولان وعلى الرأس تاج، له ثمانية أركان، فى كل ركن ياقوته تضىء، وكذا، فى رجله، نعل من اللؤلؤ، ربط شراكها من زبرجد أخضر..

*****

موت الإمام.. وانتشار مذهبه

الموت حق، وفى يوم الجمعة، الثانى عشر من ربيع الأول سنة ٢٤١هـ، توفى عظيم القرن الثالث الهجرى.. أحمد بن حنبل، عن سبعة وسبعين عاما، من الجهاد فى سبيل الله..

مات أعظم سند للسنة وأهلها.. خرج الناس بنعشه، والخلائق من حوله، رجالا ونساء، مالا يعلم بعددهم إلا الله..وأم الناس للصلاة عليه محمد بن عبد الله بن طاهر،

نائب بغداد، ولم يستقر فى قبره، رحمه الله إلا بعد صلاة العصر وذلك لكثرة الخلق، وطوبى لمن صلى عليه..

ولأن الإمام أحمد، كان اماما له أثره فى الأمة الإسلامية، فقد انتشر مذهبه ولكن دعوة الإمام المسالم، قد فهمها أتباعه فهما خاطئا، ففى سنة ٣٢٣هـ، عظم أمر الحنابلة، وقويت شوكتهم، وصاروا يكسبون فى دور القراء والعامة، فإن وجدوا نبيذا، أراقوه، وان وجدوا مغنية ضربوها وكسروا آلة الغناء، واعترضوا فى البيع والشراء، ومشى الرجال مع النساء

والصبيان، فإذا رأوا ذلك سألوه عن الذى معه من هو فأخبرهم وإلا ضربوه وحملوه إلى صاحب الشرطة وشهدوا عليه بالفاحشة، فزاد شرهم ببغداد.

وحاول بدر الخرشنى، قائد الشرطة، إصلاحهم، فلم يفد ذلك، وأقسم الخليفة، وكان محقا، فى قسمه، لئن لم تنته الحنابلة عن مذموم فعلهم، ومعوج طريقتهم ليوسعنهم ضربا وتشريدا، وقتلا وتبديدا.. وليستعملن السيف فى رقابهم، والنار فى منازلهم ومحالهم.

وأصدر على بن بليق أمرا بالقبض على البربهارى، رئيس الحنابلة، لأنه كان يثير الفتنة هو وأصحابه، فهرب وقبض على أصحابه، لأن الناس تزعزعت معتقداتهم بسبب قسوتهم التى لم يقرها الإمام أحمد بن حنبل، ولم تنزل فى كتاب الله ولا سنة رسوله، عليه الصلاة والسلام..

وإذا نظرنا إلى تصرفاتهم، وقارناها بتصرفات الإمام أحمد بن حنبل، فإننا سنقول بأنهم انتسبوا إلى اسمه، ولم ينتسبوا إلى عمله.. فالله خلق الناس، وخلق الجنة والنار،

فمن عمل صالحا فلنفسه ومن عمل السيئة فعليه أن يتحمل وزرها، وواجبنا أن نعظه فقط، بالحسنى.. فأيام الإمام أحمد، معروف أنه قد كثر الخلاف بينه وبين الإمام الشافعى، وأحمد بن حنبل، ولم يدر أبو بكر أحمد ابن محمد بن بمر الرملى، قاضى دمشق بأيهما يأخذ، فرأى فى المنام، رسول الله ﷺ، على يمين الإمامين، يشير إليهما، فعرف أن الحق مع الشيخين..

وهذا الخلاف هو الخلاف الذى لا ضرر منه، ولكن خلاف المسلمين، قديما وحديثا،

وهو الذى نختلف عليه.. لأن شوكة الاسلام قد ضعفت، من كثرة الخلاف والجدل، ومحاولة الاصلاح بين الناس أو اصلاحهم، بالقوة والعنف، بدلا من الوعظ والارشاد[1].

فالمنازعة فى الدين، بدعة.. و قد دعا الإمام أحمد إلى عدم اثارة الفتن التى لا يمكن تبريرها ما دام الإمام يقيم الصلاة فى أوقاتها..

بل إن الإمام أحمد، كان يتحرج من أن

(١) المفروض أن تقام الحدود بعد الوعظ والاستتابة ـ من قبل الحاكم بأمر الله وشرعه.. المحقق

يدخل أى دار فيها صور، أو دعوة فيها لهو وغناء،، ولكن، إذا حضر، لم يرجع ويقول، كما قال الحسن البصرى، لابن سيرين:

ـ لا ندع حقا لباطل..

ولم يحدث قط أن عالج أمرا بالقوة، أو أمر أحدا من اتباعه بالتزام سبيل العنف؟؟ ولكنه كان مسالما، فأسلمه الله من سيف المأمون، وسوط المعتصم.. والوشاية، على عهد المتوكل.. ونصره الله، لأنه تحمل صابرا مالاقاه من ضراء..

ونحن إذا اهتدينا بهداهم، واختلفنا بتسامح.. لعلا شأن الإسلام، وقويت شوكتنا أمام الأعداء المتربصين لنا يريدون أن ينقضوا علينا، لنعيش فى الذل والهوان..

رحم الله الإمام أحمد بن حنبل، أحد عظماء الأمة الإسلامية، ونفعنا بعلمه، وجعلنا نقتدى ونهتدى بهداه.

وجزاه الله عنا خيرا..

*****

وهؤلاء عن الإمام قالوا:(*)

١ ـ كنت أرى أحمد بن حنبل يحيى الليل وهو غلام = إبراهيم بن شماس.

٢ ـ خرجت من بغداد وما خلفت فيها رجلا أفضل ولا أعلم ولا أتقى من أحمد بن حنبل = الشافعى.

٣ ـ ما من مرّة هوجم فيها الإسلام سياسيا أو دنييا إلا واتجهه نحو المذهب الحنبلى الذى ينادى فى قوة وحماس بالعودة إلى السنة= المستشرق لا وست.

(*) جمعها المحقق.

وبعـــــد:

فلا تضربوا كتاب الله بعضه بعض ، فإن ذلك يوقع الشك فى قلوبكم = عبد الله بن عباس.

*****

الفهرس

الموضوع	الصفحة

*****

كن مع الله وأنت تقرأ سلسلة

زاد المسافر

- قصص أهل اجنة
- قصص أهل النار
- قصص المعذبين والمنعمين فى القبر
- قصص إبليس مع الأنبياء
- قصص النساء مع ابليس
- وصف الرسول ﷺ وثمار محبته
- معجزات عاشوراء .. البركة والدعاء
- معجزات الخضر وبركة أدعيته
- ٥٠ مفتاحا لإجابة دعائك
- إحذر ٣٠ خطأ فى صلاتك
- ابراهيم عليه السلام ونمرود الجبار

مع تحيات دار ابن لقمان للنشر والتوزيع





تصميم م/ علاء عجوة